العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
شعبة الإعلام

أم البنين عليها السلام

منار الوفاء... ألق التضحية

ùüØǩƎơ
ğĸQĄĀǩŧ ǪǑĸg ǰ ʂ f

العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
شعبة الإعلام
وحدة الدراسات والنشر
كربلاء المقدسة
ص.ب (٢٣٣)
هاتف: ٣٢٢٦٠٠، داخلي: ١٧٥-١٦٣

www.alkafeel.net
info@alkafeel.net

الكتاب: أم البنين ÷ منار الوفاء الق التضحية.
المؤلف: حسن كاظم الفتال.
الناشر: قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة.
التصميم و الاخراج الطباعي: علاء الاسدي
رقم الايداع في دار الكتب والوثائق: ١١٦٠ لسنة ٢٠١٠
المطبعة: دار الضياء- النجف الاشرف
الطبعة: الاولى.
عدد النسخ: ٢٠٠٠.
شهر جمادى الآخرة ١٤٣١/ حزيران ٢٠١٠

DłyǧâłĄ

.. ℕyǧkɭʒǩłęàłÁǩF

Ljǿəǰǫ ŋǫǸǫàłåǸǫƬơkǫǨčλOƬlj ÆǫǩłĄ

ŷDZkλƹākǵyllgℕzǫəOǫyÆə

.. kHDZKDzfLjǿəOƜDžǰǿf

÷ DłƸǵƹǩłylgℕzǫəÁǫŰ

kHbDzǾŰℕƸāƿ

ŋǿƬNJǫǩłĀǩƿDkəǸǩłʒKDzǫÁǩF

ʒǸăsǩłdzzǵłlgƍ

ğkǫĄĀǩłǰsf

افتتاح

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الخلق وسيد المرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين .

التاريخ: هذا القطب الذي أمست رحاه كل أحداث الدنيا وراحت تدور في فلكه. تقوم على محوره وبه وله الدنيا ولا تقعد .

كثيرا ما يحاط بإمارات الاتهام وهي لحاظ يتعذر أحيانا إيجاد الفيصل لها ليتسنى عزل الإفتراءات والإدعاءات الباطلة وإصدار الأحكام الجائرة غير المنطقية والمنصفة أحيانا عن حقيقة منطوق الحكم الصائب العادل وقد عز التمييز والمميز. حيث ما أن يتخلص أي التاريخ من نعته بالظلم وإطلاق وصف «لا يرحم» حتى تخترق هيأته وكيانه أوصاف أخرى لا يسهل عليه الإنفلات منها ألا وهي التحريف والتزوير والتشويه.

الذائبون بروح التأريخ والمتفاعلون مع ما يفرز من إفرازات ومع ما يقدح من شرارات يؤمنون بكل ما يصدر منه وعنه يتقاطعون مع المشاكسين له والذين يصورونه أشبه بمارد دمر كل شيء ولا يستحق إلا الرشق باللعنات .وهم لا يتورعون عن ظلم البريء ونصرة الظالم. وحين يراودهم القلق خوفا من أن يبين أو يعلن التأريخ إمارات عدالته يمسكون بأقلامهم بقوة بالغة لا من أجل بيان الحقيقة إنما من أجل أن يفقأوا به

عين الفاحص ليتعذر عليه مشاهدة الحقيقة كما هي ويظل في وهمه

هذه الحقيقة المرة والتي لابد من قبولها والتعايش معها أنشأها واقع أكثر مرارة حمل أحقية القبول فللذائبين والمتفاعلين دوافع وأسباب وقرائن، وللمشاكسين مثل ذلك أيضا ومآرب أخرى وهذا التضارب تنشئه حيرة الباحث عن الحقيقة .

فما أن يبادر الكاتب في السعي إلى الوقوف على محور الحقيقة وقطبها الثابت حتى تنتابه الحيرة إن لم نقل الذعر أحيانا. فلا يدري على أي عاتق يلقي باللائمة وعن أي كاهل يرفع أعباء المسؤولية .

حيثما أن يشرع بتسليط الضوء على حقبة زمنية معينة إلا ويبرز من يسدل حجبا سوداء معتمة تغطي كل معالم الحقيقة.

وحين ينوي أن يخترق الأسوار وتمزيق الحجب أو اقتحامها يتطلب التحلي بحنكة وكياسة ويتوفر على عناصر إن امتلكها يتعرف بدقة بالغة على العلامات الفارقة ويتعامل معها بكل حذر ويكتشف حتى ولو بعضا من الحقيقة وجزءا من القرائن ويحرز برهانا قاطعا يخبره عن براءة التاريخ من الظلم أو تورطه فيه عندها يمسك بضميره أثناء الكتابة قبل أن يمسك بقلمه ليكتب ويدوّن ما يريد.

حتى الآن هل استطاع أحد أن يصدر حكما قاطعا على ظلم التاريخ؟ فلو صنع أحد ذلك فلابد لنا أن نسلم له ولو سلمنا بأن التاريخ ظالم وقد ظلم الكثير فما علينا إلا أن نسلم بأن هذه المرأة الفاضلة الجليلة التي هي أم البنين ÷ صارت تتصدر قائمة المظلومين. وكان الأولى أن تتصدر الشواخص التي ارتكزت سامقة على أعلى ذرى المجد.

لقد أشرع التاريخ أبوابه على مصاريعها ليلج كل من يروم أن يسرح بحرية تامة في رحاب الحقيقة بمساحاتها الشاسعة الواسعة .

ترى هل يحق لي أن أتجول وسط هذه الرحاب ؟

لم أزعم يوما بأني مؤلف أو كاتب تراوده المفردات عن نفسها فلا يعتصم من

مراودتها. ولم أنوِ أن أزج بنفسي في طابور يصطف به من أذن التأريخ له أن يتحدث مثلما لا أريد أن أقف على مفترق طرق أتحيّن الفرص وأترقب أواناً يمكنني أن أقف بمصاف جليل يشار إلي بالبنان. بقدر ما أريد أن أنال شرف المساهمة في تذكير من تنفعه الذكرى عن خير سيدة أغفلها من هو أحق في التحدث عنها.

وحين شرعت للكتابة عنها كان عليَّ أن أغوص في أعماق المحيطات التي تحتوي ذكرها المشرف لأستخرج من لمعان بريق لآلئها ما ينير الدرب للقاصد الوصول إلى سيرتها الشريفة ولم يتيسر لي ذلك كثيرا وحتى إن تيسر فأني لست بحاجة لذلك لأني لم أنوِ على صياغة بحث تحليلي معمق أو دراسة أكاديمية إنما وصف مبسط لحقبة من الزمن العصيب عاشتها.

أيها القارئ العزيز :

أم البنين ÷ : رمز يتشرف المجد أن ينتمي لها .

راح الوفاء يتهجد في محراب ألق ضميرها ويستنشق الصبر من تجلدها أريجا تزدحم به حقول الإباء حين تصطف لتنحني لامرأة ضربت المثل الأعلى والأسمى في الوفاء .

تصور أيها القارئ الكريم: النساء الثكالى سر في مخيلتك وبصيرتك وسط ظعونهن وإن ترجلت توقف عندهن وهن يندبن أبناءهن وينشدن أناشيد تفجر أنهارا من الدموع. وانظر من منهن تستوقفك أكثر من سواها ولماذا؟ أ لأنها تنعى فلذة كبدها؟ وأنظر هل تجد من تثكل نجوما وقمرا زاهرا لكنها تندب فلذة كبد امرأة سواها؟

لقد برعت الخنساء في أن تصور وتجسد الصبر وتذوب في جلد عظيم وكانت غيرها مثلها لكنها لم تكن بارعة في الإيثار .ولو اطلعنا على أسماء نساء التحقن بركب الفداء والتضحية فسوف يجهدنا البحث عن وجود مثيل ونظير لمن شرفنا الحديث عنها.

لقد أنجبت أم البنين ÷ أقمارا زواهر فصاروا عصبة أحاطوا بفلذة كبد الزهراء ÷ .

انتقل بمخلتك إلى يثرب ورافق بشر بن حذلم وسر معه حاسرا عن كل ما يتعلق

بالدنيا ولا تفارقه حتى تلتقي معه بهذه السيدة الثاكلة وتوقف في رحبة اختبار نفسك لترى: كم تستطيع أن تتمالك نفسك وتتجلد دون أن تتفجر جفونك حتى ينهمر منها نهر من الدمع الساخن ؟.

وإن عدت فوجدت أن قسوة الدنيا أخذت تتبارى على غلبك وتلقفتك النوائب لتلوك آمالك بأنيابها فقبل أن تلفظك معدوم الحيلة منهكا على سواحل يأسك لا تستطيع النهوض لمقارعتها. توقف لحظات واجمع كل نثار لكيانك وأحط تأملاتك بإشعاع التوجه إلى ربك مقدما أمام رجائك وجاهة أم البنين ÷ وسوف ترى بأنك تقد كل الأغلال وتفك كل القيود وتنطلق بكل حرية منشرح الصدر مسرور الفؤاد .لتقف على بر الأمان .

فأنا من قبلك أطبقت عليَّ يوما الشدائد كل قبضاتها وشدت النوائب حيازيمها لتنهكني فكان توجهي تضرعا وقنوت نوافل قلبي توسلا بها فما كان منها إلا إحياء كل أمل .

لم ازعم بأنني نادم على أني لم أحرز ما حرزه غيري من الملذات والتنعم بالطيبات. ولا أتنكر لسنين عمري التي اعتصرتني ولم تنصفني يوما ولكن ما كاد ينهكني أو يدخلني في مأزق لا خلاص منه ليحطم كل ما أملك من قوى مما جعلني أحتاج إلى عضد وسند ومتكأ إيماني اتكأ عليه عقائديا أتخذه وسيلة تخرجني من هذا المأزق فلم أجد إلا هذا الرمز العظيم

وليس من الإنصاف أن آخذ دائما دون أن أعطي فقد كان نيل مرادي لا يتيسر للكثير من الداعين بلا وسيلة حتى ولو بنيات صادقة أكثر صدقا من نيتي. هذا ما حتم عليَّ وجوب تقديم قربان. ولكن شريعة «العين بصيرة واليد قصيرة» عرضتني لحيرة كبيرة .

مهما قدمت من القرابين والنذور فأي نذر وقربان سيعدل ذلك الشرف وذلك العطاء والوفاء؟.

فأنا الناذر وأنا نلت مرادا بجاه أم البنين ÷ ولما وجدتني قاصرا عن تقديم أي قربان و لا أملك شيئا منعني حيائي أن استنجد إلا بقلمي لأوسع مساحة الذكرى حتى ولو كانت نقطة في بحر

استنجدت بقلمي فأعانني ورحت أخط به هذه السطور

حسن كاظم الفتال ـ كربلاء في ٢٠/ ٦/ ٢٠٠٩

سليلة الأصالة

أم البنين ÷ : وهي فاطمة بنت حزام وهو أبو المحل بن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب، وأمها ثمامة بنت سهل بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب، وأمها عمرة بنت الطفيل فارس فرزل بن مالك الاحزم رئيس هوازن بن جعفر بن كلاب، وأمها أم الخشف بنت أبي معاوية فارس الهوازن بن عبادة بن عقيل بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وأمها فاطمة بنت جعفر بن كلاب، وأمها عاتكة بنت عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، وأمها آمنة بنت وهب بن نمير بن نصر بن قصي بن كلاب، وأمها آمنة بنت أسد بن خزيمة، وأمها بنت جحدر بن ضبيعة الأعز بن قيس بن ثعلبة بن عكاسة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن ربيعة بن زار، وأمها بنت مالك بن قيس بن ثعلب وأمها بنت ذي الرأسين وهو خشيش بن أبي عصم بن سمح بن فزارة وأمها بنت عمرة بن صرمة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن نفيض

وهي من بني كلاب أما وأبا. يختلف المؤرخون في تحديد سنة ولادتها بل رجح البعض إنها ولدت لخمس سنين خلون من الهجرة المباركة.

وإما ما حفظ لنا التاريخ منها فهو شيء يسير ممكن أن يحفظ عن كبريات النساء التي بلغت من الرفعة بعبادتها وزهدها ومحبتها للخير وصنعها للمعروف ونهيها عن المنكر بما لا يبلغه الرجال ولا عجب أن تنال تلك الرفعة بفضل اجتهادها واحتلالها مكانة رفيعة بين مجتمعها وتمتعها بذكاء وألمعية مع حداثة سنها .

وقد وهبها الله عز وجل نفسا حرة طاهرة عفيفة وقلبا سليما زكيا وفطنا وعقلا

رشيدا وكأنها كانت تتأهل لدخول بيت طاهر مطهر وحين بلغت مبالغ النساء كانت مضرب المثل حتى بالحسن والجمال وقد تميزت بين نساء قومها بالأدب وحسن الخلق وكل ما يمت بمكارم الإخلاق من صلة .

يروى أن حزام بن خالد بن ربيعة كان في سفر له مع جماعة من بني كلاب، نائم في ليلة من الليالي فرأى فيما يرى النائم كأنه جالس في أرض خصبة وقد انعزل في ناحية عن جماعته وبيده درة يقلبها وهو متعجب من حسنها ورونقها وإذا يرى رجلاً قد أقبل إليه من صدر البرية على فرس له فلما وصل إليه سلم فرد ثم قال: له الرجل بكم تبيع هذه الدرة؟ وقد رآها في يده فقال له حزام: إني لم أعرف قيمتها حتى أقول لك ولكن أنت بكم تشتريها فقال له الرجل: وأنا كذلك لا أعرف لها قيمة ولكن إهدها إلى أحد الأمراء وأنا الضامن لك بشيء هو أغلى من الدراهم والدنانير، قال: ما هو؟ قال: أضمن لك بالحظوة عنده والزلفى والشرف والسؤدد أبد الآبدين، قال حزام: أتضمن لي بذلك؟ قال: نعم قال: وتكون أنت الواسطة في ذلك؟ قال: وأكون أنا الواسطة أعطني إياها فأعطاه إياها.

فلما انتبه حزام من نومه قصَّ رؤياه على جماعته وطلب تأويلها فقال له أحدهم: إن صدقت رؤياك فانك ترزق بنتا ويخطبها منك أحد العظماء وتنال عنده بسببها القربى والشرف والسؤدد.

وبما أن ثمامة زوجته كانت حاملة بفاطمة أم البنين ÷ فقد وافق أن تضعها مع قدوم زوجها من سفره فاستبشر وتهلل وخاطب نفسه قائلا: لقد صدقت الرؤيا. وحين طلب منه تسميتها قال سموها فاطمة وكنوها أم البنين إذ أن العرب كانت تكني المولود وتلقبه يوم ولادته. كما كانت العرب مثلما تولي اهتماماً بالغاً في تربية الذكور من أبنائها ونشأتهم وترويضهم وتمرينهم على الشجاعة والكرم والفضيلة والنبل والشهامة والوفاء وكل السجايا الحميدة والخصال الفاضلة فمثل ذلك كانت تولي بناتها أيضا من الإهتمام في بناء الروح المعنوية وإنشائها وغرس كل الصفات النبيلة في نفوس أعقابها

من البنات، والتاريخ دون على صفحات الحقيقة والوقائع المشرفة أسماء لنساء كثيرات اكتسبن من الصفات ما لم يكتسبها بعض الرجال ومثل ذاك لقد ظلم التاريخ الكثير، وممن ظلمهم التاريخ هذه المرأة العظيمة إذ جهل ذكرها وأغفل حقها ولم ينصفها حق الإنصاف الذي تستحقه ويبدو أن هذه المرأة النبيلة من ذلك الصنف من النساء، فقد اكتسبت من الصفات الحميدة والسجايا الفاضلة ما قد أهّلها أن تحتل مكانة مرموقة في السفر الخالد الذي شيده الخالدون وقد قال رسول الله ﷺ: «**تخيروا لنطفكم فإن "العرق دساس"**»[1]

(١) ـ السرائر / ابن ادريس –ج٢–ص٥٥٩

خطبتها

داهم الأجل بنت خير خلق الله النبي الأكرم ﷺ وراحت تريق حنان وصاياها لابن عمها سيد المتقين وأمير المؤمنين عليه السلام حتى أوصته أن يتزوج أمامة إبنة أختها وقد نفذ أمير المؤمنين عليه السلام وصيتها حبا وكرامة لبنت رسول الله ﷺ.

ولما كان عقيل بن أبي طالب أخ أمير المؤمنين علي عليه السلام عالما بأنساب العرب روي أن أمير المؤمنين عليه السلام قال لأخيه عقيل ـ وكان نسابة عالما بأنساب العرب واخبارهم ـ أنظر إلى امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب لأتزوجها فتلد لي غلاما فارسا. فقال له: تزوج أم البنين الكلابية فإنه ليس في العرب أشجع من آبائها [1]

ويروي الرواة أن عقيل مضى بأمر أمير المؤمنين عليه السلام في مهمته حتى ورد بيت حزام وحل ضيفاً فرحب به ونحر له النحائر وأكرمه أيما إكرام فجلس عقيل إلى جانبه وخاطبه بكل تبجيل وبتأدب تامين وأعلمه بأن له حاجة عنده فقال له حزام: مرني فإني مجيب فقال عقيل: جئتك بالشرف الشامخ والمجد الباذخ. جئتك خاطبا ابنتك الحرة فاطمة أم البنين ÷ إلى يعسوب الدين والحق اليقين وقائد الغر المحجلين وسيد الوصيين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فهش وبش حزام وصاح قائلا: بخ بخ لهذا الشرف الرفيع والحسب ذي المجد المنيع أي شرف ذلك ناله بمصاهرة ابن عم رسول الله ﷺ.

وقام حزام من مجلسه فرحا مستبشرا ليسأل، فلما قرب من المنزل وإذا هو يرى

(١)الأنوار العلوية/ الشيخ جعفر النقدي- ص٤٤٢

فاطمة جالسة بين يدي أمها وتقول: يا أماه أني رأيت في منامي رؤيا البارحة، فقالت لها أمها: خيرا رأيت يا بنية قصيها علي :

فقال حزام في نفسه: انتظر حتى أسمع ماذا رأت في منامها، فوقف في مكانه بحيث يسمع الصوت ولا يراه أحد.

فقالت فاطمة ÷ لأمها: أني رأيت فيما يرى النائم كأني جالسة في روضة ذات أشجار مثمرة وأنهار جارية وكانت السماء صاحية والقمر مشرقاً والنجوم ساطعة وأنا أفكر في عظمة خلق الله من سماء مرفوعة بغير عمد وقمر منير وكواكب زاهرة، فبينما كنت في هذا التفكير ونحوه وإذا أرى كأن القمر قد انقض من كبد السماء ووقع في حجري وهو يتلألأ نوراً يغشي الأبصار، فعجبت من ذلك وإذا بثلاثة نجوم زواهر قد وقعوا أيضاً في حجري وقد أغشى نورهم بصري فتحيرت في أمري مما رأيت وإذا بهاتف قد هتف بي أسمع منه الصوت ولا أرى الشخص وهو يقول:

بشـــراك فاطـــمة بـالسادة الغرر
ثـــلاثة أنجـــم والـــزاهر القـــمر
أبـــوهم ســيد فـــي الخلـــق قـاطبة
بعد الرســـول كـذا قد جاء في الخبر

فلما سمعت ذلك ذهلت وانتبهت فزعة مرعوبة، هذه رؤياي يا أماه فما تأويلها؟.

فقالت لها أمها: يا بنية إن صدقت رؤياك فانك تتزوجين برجل جليل القدر رفيع الشأن عظيم المنزلة عند الله مطاع في عشيرته، وترزقين منه أربعة أولاد يكون أولهم وجهه كأنه القمر وثلاثة كالنجوم الزواهر.

فلما سمع حزام ذلك أقبل عليهما وهو مبتسم ويقول: يا بنية قد صدقت رؤياك فقالت له أمها: وكيف علمت ذلك؟ قال: هذا عقيل بن أبي طالب جاء يخطب ابنتك قالت: لمن؟ قال: لفلال الكتائب ومظهر العجايب وسهم الله الصائب وفارس المشارق والمغارب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

قالت وما الذي قلت له؟ قال: أمهلته حتى أسألك عن ابنتك، هل تجدين فيها كفاءة بأن تكون زوجة لأمير المؤمنين عليه السلام واعلمي أن بيته بيت الوحي والنبوة والعلم والآداب والحكمة فإن تجديها أهلاً لأن تكون خادمة في هذا البيت وإلا فلا.

فقالت: يا حزام أني والله قد ربيتها وأحسنت تربيتها وأرجو الله العلي القدير أن يسعد جدها وأن تكون صالحة لخدمة سيدي ومولاي أمير المؤمنين عليه السلام فزوجها به:

زوج كـــريـــمتنا بـــالفارس البطل
نعـــم القـــرينة لـلمولى الإمـام علي
فـــإنها حـــرة فـــي الحـسن بارعة
فـــي الـــرشد كـــاملة والـعـــقل

فلما سمع حزام سر بذلك سروراً عظيماً وأقبل إلى عقيل وهو مستبشر فقال له عقيل: ما وراءك قال: كل الخير إن شاء الله تعالى قد رضينا بأن تكون ابنتنا خادمة لأمير المؤمنين عليه السلام فقال عقيل: لا تقل خادمة بل قل زوجة.

خطبها أمير المؤمنين عليه السلام وتزوجها فدخلت بيت الحكمة والرحمة، بيتا هو اشرف البيوت وأطهرها، بيتا كان يقف عنده أشرف خلق الله وأكرمهم أجمعين خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله فيستأذن الدخول فيدخل وهو يتلو قول الله تعالى ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾(١).

أية امرأة تلك التي جلست على فراش جلست عليه أطهر نساء الكون؟ أية يدٍ تلك التي ستمسك الرحى التي كانت تمسكها أطهر يد قد قبلتها الحور العين تشرفا وتبركا وتحننا؟

دخلت بنت حزام وأبت إلا أن تبدأ رسالتها المقدسة العظيمة، رسالة وفائها

(١)- سورة الأحزاب / آية ٣٣

وورعها وتقواها وإيثارها وأدبها الإسلامي العميق لتعبر عن الوفاء العقائدي الجوهري الصادق الذي قد أثبت مصداقيته يوم عاد بشر بن حذلم إلى المدينة المنورة وهو ينعى ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله، كانت يوما شجرة الوفاء قد أينعت وساعة مصداقيته أعلنت فتوضحت الصورة حين عكست إشعاعاتها بريقا حقيقيا صعق كل العيون التي لم تبصر من قبل.

أوصت بنت الحارث ابنتها حين زفت إلى زوجها «يا بنية» احملي عني عشر خصال: تكن لك ذخراً وذكراً: الصحبة بالقناعة، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة، والتعهد لموقع عينه والتعقد لموضع أنفه فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب ريح، والتعهد لوقت طعامه، والهدوء عنه عند منامه، والاحتفاظ ببيت ماله، والارعاء على نفسه وحشمة عياله، ولا تفشي له سراً، ولا تعصي له أمراً، ثم اتقي الفرح أمامه إن كان ترحاً، والاكتئاب عنده إن كان فرحاً، وكوني أشد ما تكونين له إعظاما، يكن أشد ما يكون لك اكراماً، وأشد ما تكونين له موافقة، يكن أطول ما يكون لك مرافقة

كان دخولها بيت أمير المؤمنين عليه السلام دخولا لم يسبق لإمرأة أن تفعل ساعة دخولها بيت زوجها ما فعلت هي منذ دخولها، حيث إنها وقفت على باب النبوة لتستأذن زينب ÷ وأخويها سيدي شباب أهل الجنة عليهما السلام بالدخول إلى الدار وتتوسل أن يشرفوها بأن تأخذ محل أمهم بالأمومة وليس بالمقام فتأذن لها زينب ÷ لذلك قلت في هذه المناسبة:

في ليلة العرس العرائس تكتسي ... فرحا تطير به من السراء
لكنما أم البنين بعرسها ... لبست أسى حزنا على الزهراء
وقفت على باب الرسالة تبتغي ... إذناً من السبطين والحوراء
لما لها أذنوا تناثر دمعها ... كتناثر اللألاء في الظلماء
وتعانقت مع زينب بدخولها ... ولها غدت عونا على الارزاء

ثم تقف أمام أمير المؤمنين عليه السلام بخشوع وتضرع متوسلة به تسأله قضاء حاجة

وترجوه رجاء متذلل أن يستجيب لدعوتها وكأنها تفصح عن الأصالة التي امتلكتها من منابت الفضيلة والتربية الفاضلة الصحيحة، فتقف أمام سيدها وزوجها فتقول: إلي عندك حاجة يا أبا الحسن يسرني قضاؤها فيلتفت إليها حلال المشاكل وقاضي الحاجات فيقول لها وهو يود قضاء حاجتها وداد كريم مسؤول من سائل عزيز: اطلبي فحاجتك مقضية. فتقول له: لا تناديني فاطمة. فيسألها لماذا؟ فترد عليه قائلة: كي لا أذكرِّ الحسن والحسين عليهما السلام بأمهما فاطمة الزهراء ÷ فيتكدرا.

هذا الحس العاطفي المرهف كان ابتداء رسالة الوفاء التي قرأتها لأهل يثرب جميعا حين حاورت بشر بن حذلم .

إقترانها بأمير المؤمنين عليه السلام

غالبا ما نجد أناسا غاية أمانيهم أن يقتربوا من أولياء ينتمون في الحسب والنسب إلى آل رسول الله صلى الله عليه وآله والتودد لهم والتشرف بهم إذ أنهم حبل الله المتين وقال عز وجل ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا**﴾[1] إذ أن الإقتراب منهم بصورة مباشرة يدعو للفخر والإعتزاز ويبعث السرور والطمأنينة في النفس ويحيي الأمل في أن تقال العثرات وتزول الزلات وتمحى السيئات وتزداد النعمات وتتجلى الرحمات وتنهال البركات.

هذا ما يرتجى بل ويستحصل من الإقتراب وهذا يدخل في متسع ﴿**وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**﴾[2] فكيف بمن يقترن بهم اقترانا يخلف الأنساب والأحساب، لا شك أن ذلك أجلّ وأسمى لأنهم باب الله وصراطه المستقيم والسبيل إلى الخلود في جنات النعيم.

كان من حسن حظ هذه المرأة الفاضلة الكريمة التي أورثتها أصالتها أجلّ القيم وأسمى المبادئ وأعظم الخصال وأجلّها فإنها ابنة بارة للشهامة والنبل والشيمة العربية الإسلامية وحباها الله نعما كثيرة امتازت بها على سواها

وقل أن تجتمع في شخصية واحدة لامرأة عاشت عصرها فهي ذات نفس مفعمة بالكرم مغمورة بالإباء مشهورة بالوفاء تنطق بالحكم والفطنة والحلم وتتحلى بالنبل والشهامة والأدب مع العفة والورع والزهد والتقوى، صفات اجتمعت فيها لتذيبها في

(١) ـ سورة آل عمران / ١٠٣

(٢)ـ سورة فصلت / ٣٥

بوتقة الإيمان الحقيقي الذي صهرها جوهره.

هذه الخصال كانت هي المرقاة التي أوصلتها إلى ذرى المجد والفخر والخلود هذه المرأة التي تفتخر النساء بأنها تنتمي إلى جنسها ربما كان ما تحمله هي وسيلة مهدت لها حتى وإن كان بلا موعد للدخول إلى مملكة المجد والخلود، مملكة لا يمكن أن يسقط نظامها أبدا، فإن ما حملته من تزاحم الخصال كان زادا مباركا لسفر نقي منزه مهد لها الإرتباط المقدس بتبعية عصماء لآل الرسول صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وفي حملها هذه الخصال كانت تعد العدة للوصول إلى أقدس محطة تبدأ منها رحلة إلى الجنة لتسكن في أعلى غرفها، فهي ليست في المجد والفخر بل هي المجد والفخر والعز ذاته.

أولادها

إن هذه المرأة الكريمة الجليلة الحليمة مثلما تكون هي صادقة في كل تصرفاتها وممارساتها القيمة والتي دائما ترتبط ارتباطا وثيقا بالعقيدة، لابد لأن تلقى رؤياها المصداقية وأن يتحقق الطيف الذي مر عليها وهي في بيت أهلها الكرام يوم رأت في ما يرى النائم في منامه سقوط النجوم والبدر المشرق من سماء العز والشرف في حجرها الطاهر .

فلابد لها أن تلقى نجوما وقمرا زاهرا يشرق في المدينة المنورة فيضيء ليل اصطبارها ومعاناتها فيبزغ فجر منالها المشرف وحيازتها مرتبة لا مثيل لها، قمرا تلتقيه يُبعد عنها كل ظلمة وعتمة يشرق في المدينة المنورة ويبدأ رحلته الكوكبية التي تحيط بأفق أصحاب الكساء ويدور حتى يحين موعد مغيبه في وادي الطفوف .

ولعل ما ميزها إنها حازت ما لم تحزه امرأة غيرها حتى من زوجات أمير المؤمنين عليه السلام بعد الزهراء ÷ فإنها احتلت مكانة لم تحتلها أية زوجة .

يولدها أمير المؤمنين عليه السلام وإمام المتقين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب عليه السلام فتنجب له البدور الأربعة: أبو الفضل العباس عليه السلام ،عبد الله، جعفر، عثمان، قتلوا جميعا في كربلاء بعد أن نذروا أنفسهم لسيدهم وأخيهم الامام الحسين عليه السلام .

عندما طلب أمير المؤمنين عليه السلام من عقيل أن يخطب له قال: أريد امرأة ولدتها الفحولة، ثم قال لتلد لي غلاما يكون عضدا لولدي الحسين عليه السلام في كربلاء.

وحان موعد التصديق والتطبيق لقول أمير المؤمنين عليه السلام وافتتح ميدان المعركة

ووقف أبو الفضل عليه السلام فكان عضدا ليس كمثله الأعضاد وأخا ليس كمثله الإخوان بل منح الأخوة ومضمونها وسام شرف وكرامة وزينها بالفداء والإباء. فكان عضدا لسبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثلما كان أبوه علي بن أبي طالب عليه السلام عضدا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. لذا قلت في هذا الموقف:

قمر على ضفة الشريعة أشرقا
وأضاء ليل الطف من نور التقى
منح الوفاء وسام عزٍ خالد
وبه الوفاء على ذرى الدنيا ارتقى
وسقى العطاشى عذب ماءٍ إنما
بدم العدا لحسامه الظامي سقى

وقف أبو الفضل عليه السلام يسجل أنبل واشرف المواقف، فراح ينتدب إخوته الواحد تلو الآخر لنصرة سبط النبي الأعظم صلى الله عليه وآله فيفتح صفحة تبرهن عظمة طوفان وفائه لنصرة دين رسول الله صلى الله عليه وآله وإبائه وتضحيته.

فيتقدم عبد الله بن علي بن أبي طالب عليه السلام وله من العمر خمس وعشرون سنة، فبارز مبارزة يرضي بها الله جل وعلا ورسوله صلى الله عليه وآله وأبا عبد الله الحسين عليه السلام ويسر قلب أبي الفضل عليه السلام رائد التضحية والفداء وهو يرتجز :

أنا ابن ذي النجدة والفضال ذاك علي الخير ذو الفعال
سيف رسول الله ذو النكال في كل يوم ظاهر الأهوال

حتى قتله هاني بن شبيب الخضرمي، ولما سقط مضى إليه الحسين عليه السلام وحمله إلى الفسطاط. فأعقبه في تقديم نفسه قربانا لسبط النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أخوه جعفر بن علي عليه السلام وهو ابن تسع عشرة سنة وقاتل قتال الأبطال المجاهدين وهو ينشد:

إني أنا جعفر ذو المعالي ابن علي الخير ذو النوال

ذاك الوصي ذو السنا والوالي حسبي بعمي جعفر والخال

أحمي حسينا ذا الندى المفضال

فنال نعم النوال وحامى ونعم الحمر حتى قتله خولي بن يزيد الأصبحي وأيضا مضى إليه الحسين عليه السلام وحمله.

ولكي يظل معسكر الأعداء مضطربا لا يخلو الميدان من صولة فارس أصيل تلاه في الصولة عثمان وله من العمر إحدى وعشرون سنة [1] وقاتل أيضا قتال الأبطال الأحرار وهو ينشد :

إني أنـا عـثـمان ذو المفـاخـر شيخي علي ذو الفعال الطاهر

هـذا الحـسـين سيد الأخـابـر وسـيـد الـصـغـار والأكـابـر

حتى رماه خولي بن يزيد الأصبحي بسهم فأضعفه وشد عليه رجل من بني أبان بن دارم فقتله وأخذ رأسه.

لكي يتمم شريعة الوفاء والتضحية والإباء التي لم يسبق أن سنها قبله بهذه الصيغة أحد ولكي ينصر رسول الله صلى الله عليه وآله ودينه القيم بنصرة حامي الدين أبي عبد الله الحسين عليه السلام برز ليبقى اضطراب الفرسان وضباب الميدان على حاله بعد صولات إخوته الأعزاء فرسان بني هاشم لذا أقول:

في كربلا للسبطِ دوّت صرخةٌ فاجتث فيها النسلَ للأرجاسِ

والأرضُ كادت أن يزلزلها الأسى كادت تدك على السهول رواسي

واستل من رحِمِ العقيدة أنفساً صارت بليل الطفِ كالنبراسِ

يا خير أنصارٍ ينادون الردى وكـأنهـم يمضـون للأعـراسِ

والقادمون إليه إذ شموا الثرى ما أبدلوا عطر الثرى بـالآسِ

وغـداة إعـلان الفرات نضوبه حتى يفيض أشـــار للعباسِ

(١) ـ أنصار الحسين/ محمد مهدي شمس الدين

فمضى وقربته مـدادٌ نضحها ما زال يملأ أشرف القرطاس
لـيـل الهـريـر أعـــاده في كربلا وبرغم عطفه كان صعب مراس
قد ظل رمزا للكرامة شاخصا لأراه لا بالعين بل بحواسي

وقف ليعيد للأذهان وقفة سجلها بماء الذهب الخالص وبالأنوار الساطعة يوم قال رسول الله ﷺ برز الإيمان كله للشرك كله. فاليوم برز أبو الفضل عليه السلام والغيرة تتألق في ضميره فيفيض لآلئها بإشعاعات تملأ دياجي العصور ولكي يعيد للأذهان ذكرى جليلة راح ينشد وهو يزمجر:

أنا الذي أعرف عند الزمجرة بابن علي المسمى حيدرة

ودخل المشرعة واغترف من الماء فأبت نفسه الزكية التي كانت روضة زاهية أينع فيها الإباء والتضحية والفداء ولكي يبقى الفداء يحمل لواء مجد على سارية تضحية أبي الفضل العباس عليه السلام. من أجل ذلك رمى الماء ليسكب معه آيات الحنان والرقة مع الصلابة والصبر، ولكي يعلم الفرات ومن يرتوي منه دروسا تستلهم منها الأجيال فتتصف بالخلق الرفيع، وقف وسط نهر الفرات العذب يتحدى كل رغبات النفس واشتياقها للإرتواء ولكي تظل ظامية تروي بظمأها الكرامة والعز والبهاء والهناء لكل موالٍ ظمئت نفسه للحق فسقاها بحب الحسين وأهل بيته عليهم السلام عند ذاك يقول:

يا نفس من بعد الحسين هوني وبـعـده لا كـنـت أو تكوني
هـذا حـسـين شـارب المـنـون وتـــشربـــين بـــارد المـعـين
تـــالله مـا هـــذا فـعـال ديـنـي ولا فـعـال صـــادق اليقين

وقد أصرّ أن يروي صبية تتلظى أحشاؤها من العطش فملأ قربته وسار بها وهو يقول:

لا أرهب الموت إذا الموت زقا حتى أوارى في المصاليت لقا

إني أنا العباس أغـدو بالسقا ولا أخـاف الشر يوم الملتقى

نفسي لسبط المصطفى الطهر وقا

يسير أبو الفضل عليه السلام حرا مزهوا لا ترهبه الجحافل ولم يأبه بالجمع وقبل أن يحمل قربته التي ملأها بالماء يحمل قلبا يملأه الإيمان ويحمل روحا تحيطها الصلابة ولكن الغدر وسيلة من وسائل الأشرار يتخذونها للوصول إلى مآربهم التي يشفون بها غليلهم، ويأبى الجبناء إلا أن يركبوا الغدر للنيل من الفرسان الشجعان الأوفياء فتقطع بالغدر كفه ولكن هذا الغدر لم يكن اختبارا لقوة عقيدته وصلابة صدق جهاده فهو معروف لا يحتاج لتعريف ولكنه لابد أن يعلن ليرعوي الغادرون وربما كانت وخزة تريد أن تفزز قريحته أو تكسر السكون ليقول:

والله إن قطعتم يميني إني أحامي أبدا عن ديني

وعن إمام صادق اليقين سبط النبي الطاهر الأمين

يتخلى أبو الفضل العباس عليه السلام عن كل ما يحتفظ به الآخرون مما يرتبط بشؤون الدنيا وزخرفها.

يتخلى عن كل شيء إلا الغيرة والحمية على الدين وعلى إمامه ويبالغ في قتل الأعداء وهلاكهم حتى يكمن له اللعين حكيم بن طفيل فيضربه بعمود من حديد على رأسه الشريف فيسقط على الأرض فيأتيه أبو عبد الله الحسين عليه السلام فيودعه. وروى الصدوق في الأمالي بإسناد إلى علي بن سالم عن أبيه عن أبي حمزة الثمالي قال: نظر علي بن الحسين عليه السلام إلى عبد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام فاستعبر ثم قال ما من يوم أشد على رسول الله صلى الله عليه وآله من يوم أحد قتل فيه حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله صلى الله عليه وآله وبعده يوم قتل فيه ابن عمه جعفر بن أبي طالب ثم قال عليه السلام لا يوم كيوم الحسين عليه السلام ازدلف إليه ثلاثون ألفا يزعمون أنهم من هذه الأمة كل يتقرب إلى الله عز وجل بدمه وهو بالله يذكرهم فلا يتعظون حتى قتلوه ظلما وبغيا وعدوانا. ثم قال: رحم الله عمي

العباس عليه السلام فلقد آثر وأبلى وفدى أخاه بنفسه حتى قطعت يداه فأبدله الله عز وجل بهما جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة كما جعل لجعفر بن أبي طالب وإن للعباس عند الله تبارك وتعالى منزلة يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيامة .لذا يقول في ذلك الشاعر :

أحـق الـنـاس أن يبكى عليه فتى أبكى الحسين بكربلاء
أخـــوه وابـــن والـــده علي أبـو الفضل المـضرج بالدماء
ومـن واســاه لا يثنيه شيء وجــاد لـه عـلى عـطـش بـماء

وقال شاعر آخر يصف فضل أبي الفضل ووفائه ونبله ووقفته المشرفة التي لا نظير لها :

واذكر أبا الفضل هل تنسى فضائله
في كربلا حين جدّ الأمر والتبسا
واســى أخــاه وفــاداه بمهجته
وخاض في غمرات الموت منغمسا
آلى بـأن لا يـذوق المـاء وهـو يرى
أخــاه ظـمـآن مـن ورد لـه يئسا
ففز أبا الفضل بالفضل الجسيم بما
أسديته فعليك الفضل قد حبسا

وأنا استوحيت من ذلك فرصفت بعض القوافي :

أبـو الفضل الفضائل إذ تباهت سموت فلاحقتك إلى التسامي
فـطـه ديـنـه حـامـاه سبـط وأنت لسبطه صرت المحامي
احـتـواك ثـرى الطفوف ونـال عزا ليأمن فيك من سطو اللئام
وفي جنب الـفـرات غفوت ظامي وقد صرت الفرات لكل ظامي

وفاؤها

لقد دوّن التاريخ في سجلاته أسماء عديدة لكثير من النساء اللواتي اشتهرن بالتضحية والإيثار والصبر على المصيبة. لكن لو راجعنا مطالعة بعض القصص وتفحصنا بها مليا ودققنا فيها ودرنا مع بعض محاورها وتعرفنا على عناصرها أو مقوماتها لوجدنا إنها تعتمد في سبب تواجدها على عناصر ربما تشترك أغلب الحوادث فيها إن لم نقل جميعها ومن أهم هذه العناصر العصبية القبلية أو العرقية أو المفاخرة بالشجاعة وعدم الخنوع أو التنافس في تقديم العدد الأكبر والأكثر من الشهداء على سبيل المثال عند البعض أو حيازة الألقاب أو المناقب والمآثر التي تفتخر القبيلة بها وترفع من درجات إشاعة حسن وطيب سمعتها فتميزها عن أخرياتها خصوصا ما كان يحدث من تضحيات النساء قبل نشر الدعوة الإسلامية. ولقصة الخنساء نصيب كبير في هذا المجال من التضحية والتفاخر.

لكن المبادرة وبإصرار بالغ وبعزيمة تامة دون أي تردد بتضحية مقرونة بقوة الإيمان الذي يملأ القلب ويطوق الروح فيجعل من التضحية أساسا يبني عليه قصد الوفاء ونية التقرب إلى الله وتطابق ما هو مكنون في الضمير وفي الروح والقلب مع ما هو يدور على اللسان، تضحية دوافعها الحب العميق الخالص الزكي لرسول الله ﷺ وذريته الطاهرة المباركة، ذلك الوفاء الذي غرسه الورع والتقوى وتحمل المصاعب وتقبل المصيبة ومواجهتها بدرجة عالية من التقوى وبروح مفعمة بالورع ومشحونة بالصبر ومحاطة بعزيمة تخفف وطأتها أعظم مصيبة بل تزيل آثارها ﴿**وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ**

عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[1] أليس حب علي وأولاده عليهم السلام من دلائل الورع والتقوى وعزم الأمور؟ هذا الحب الذي يبرهن ويثبت الإرتباط الوثيق فيحصن الإنسان من الزلل والوقوع في المكاره ومن كل دنس بل يزيده ثقة وبصيرة ونعمة. إذ يقول الإمام الباقر عليه السلام: «**ما ثبت الله حب علي في قلب أحد فزلت له قدم إلا ثبتها الله وثبت له قدما أخرى**»[2].

إذن إن هذا النمط من التضحية المفعم بالتقوى والورع الذي خلفه حب علي وأولاده عليهم السلام هو نموذج مجرد من المنافع والمآرب بل الوسيلة الخالصة للتقرب إلى الله جل وعلا ورسوله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام وهذا النمط لابد أن يأخذ بعين الإعتبار ويوضع في كفة ميزان الحق والعدل في نصرة كلمة الحق التي هي كلمة الله العليا.

ومن يسعى في تقديم تضحية بهذه الصيغة لابد له أن يعد من الأكرمين والمتميزين، وأم البنين عليها السلام كانت منارا استضاءت به قوافل التضحية فأخذت منها الكثير الكثير لتحمل ما لم يستطع حمله سواها.

لقد غرست منذ البداية أول غرس للتضحية عند دخولها بيت أمير المؤمنين عليه السلام كما أسلفنا وكادت بل وأصرت أن تتخلى عن كل حقوقها بل تتوسل لأن تكون مضحية من الصنف الأول دون منازع ودون بديل سوى مرضاة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وذريته صلوات الله عليهم أجمعين.

(١)- سورة آل عمران / آية ١٨٦

(٢) - بحار الأنوار - ج٣٩-ص٢٥٧

ألق التضحية

لكل أم فيض من العاطفة يموج في أعماقها تحاول أن تريقه بغزارة فريدة على أبنائها.

هذا الفيض الإنساني كأنه خلق من أجل الأم فقط. وربما تجردت بعض الأمهات من كل شيء إلا من غزارة العاطفة فأصبحت على أتم استعداد لأن تهدم كل بناء لتشيد صرح العاطفة والحنان بدلا عنه فتجلس على قمته وهي تحتضن أولادها لتضحي من أجلهم بكل شيء وحتى بنفسها أحيانا ساعة يستدعي الأمر ذلك وبما تمتلك من مشاعر وأحاسيس وغرائز وحقوق وإن بعضا من الشواهد ليس ببعيد عن القاصي والداني ولا أقرب شاهد مما نستخرجه من قضاء القاضي المهيمن الذي مازال القضاء يحن إلى قاضٍ مثله ثم يدرك «أي القضاء» بأن وجود مثله من المستحيل ذلك هو أمير المؤمنين عليٍ عليه السلام المستنبط الحكم من كتاب الله سبحانه وتعالى والقاضي بنهج رسول الله صلى الله عليه وآله إذ قد جاءت امرأتان تحملان وليدا اختصمتا فإدعت كل واحدة منهما بولادة المولود وأمومته واحتكمتا إلى أمير المؤمنين عليه السلام فتظاهر بأنه حكم في ضرب الوليد بالسيف ليجعله نصفين لتأخذ كل واحدة منهما نصفا منه فعندما سمعت إحداهما تنازلت على الفور وادعت بأنه ليس ابنها وقالت لا أريده فقال القاضي الحازم العادل الحاكم بالحق وبأمر الله عز وجل: إنها أمه لأنها رفضت أن يضرب بالسيف فيقسم إلى نصفين.

إذن هذه الغزارة من العاطفة لا يمكن أن تتكون إلا في قلب الأم. ترى ألم يكن قلب أم البنين ÷ معمورا بهذه العاطفة؟

لابد أن يكون كذلك .لكن هذه العاطفة لم ترقها على فلذات كبدها بل سكبت كل فيضها على فلذة كبد سيدة نساء العالمين ÷ الحسين بن علي عليهما السلام حين وقفت لتستمع لصوت ناعٍ ينعى وهو ينشد باكيا :

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها قتل الحسين فأدمعي مدرار
الجسم منه بكربلاء مضرج والرأس منه على القناة يدار

إذ أن الإمام زين العابدين عليه السلام التفت إلى بشر بن حذلم وقال له: لقد كان أبوك رحمه الله شاعرنا إذ أن أباه كان شاعرا لأهل البيت عليهم السلام وإلا لم يترحم عليه الإمام عليه السلام ثم قال له: هل تقدر على شيء منه؟ قال: أجل أني لقادر. فقال عليه السلام : إذن ادخل المدينة وأنعى الحسين عليه السلام فمضى بشر وارتدي ملابس سود. وقد كانت العرب حين يأتي الناعي وهو يرتدي الملابس السود يلحظ بذلك إلى أن من مات عظيم من العظماء لذا صنع بشر ذلك وتوجه إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله ليعزيه باستشهاد سبطه عليه السلام قبل أن يمضي ويعلم أهل المدينة .

وثم عاد ورفع صوته بالبكاء والنحيب وأنشد أبياته المشهور أنفة الذكر وصاح برفيع صوته:

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها

فاجتمع الناس والتفوا حوله متسائلين ما الخبر؟ لم ينادي هذا الناعي لا مقام لكم بها؟ فسئلوه عن ذلك !فأجابهم:

قُتل الحسين فأدمعي مدرار

تشق صمت الطرقات وتخترق حواجز حيرة الناس ودهشتها وتكسر طوق السكون الذي انتاب الجمع الغفير الذي يترقب قدوم خبر المأساة الكبرى.

أنصتت فسمعت صوت الناعي الذي هو بشر بن حذلم، فسارعت تحمل على كتفها الطاهر الصلد الشامخ بقايا لسفر خالد لأشرف ذكرى ونسل لأطيب نسل وتجر عباءةً

سودتها النوائب وعتمتها المصائب حتى وصلت فتعلقت بركاب راحلة الناعي لتوقفه مستفسرة عن مصير ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وقرة عين ابنته الطاهرة المطهرة وسيدة نساء العالمين ÷ سيد شباب أهل الجنة ومصباح الهدى وسفينة النجاة الحسين بن علي عليه السلام. فيلتفت إليها ذلك الناعي الذي صك مسامع الملكوت برفيع صوته فمزق صمت كل الأمهات الثكالى وأجهد كل الفاقدين بالبكاء وفجر ينابيع الحزن فسالت أودية الدموع بقدر وبغير قدر فحفرت على كل خدٍ نهرا ساخنا مالحا .

توقفه منادية: ما الخبر؟ تعرفه بنفسها أو يعرفه الآخرون بها أو قد عرفته عليها ملامح القهر والحزن العنيف وشحوب الوجه وذبول القسمات التي جعدتها ويبستها الدهشة الكبرى. أو ربما عرفه عليها ذلك الطفل المحمول على كتفها ذو الوجه الملائكي المشرق والذي أبقاه قمر العشيرة بدر بني هاشم أبو الفضل العباس عليه السلام .

يلتفت إليها بنظرة دقيقة فاحصة وببصيرة عميقة وبرأفة يخشى عليها من الإنهيار أن أخبرها بشهادة أبنائها الأربعة، فيتدرج معها فيقول لها: أعظم الله لك الأجر بعثمان فقد قتل .. تستمع الخبر دون أن تبالي وكأنها لم تلد عثماناً ولم تسهر ليغفو ليالٍ طوال. فيدهش بشر ثم يدرك أنها تبحث عن شيء أعظم مما يتصوره وسرعان ما ترد عليه قائلة: مالي وما لعثمان أجبني عن قرة عين الرسول صلى الله عليه وآله. لكنه يصر على أن يخبرها بما تريد ليخفف وقع الصدمة عليها فيحاول أن ينهي تسلسل غياب النجوم التي اقتفت اثر القمر الزاهر، فيناوب في إخبارها بمصارع أولادها وتلح عليه بإبلاغها عن سلامة الحسين عليه السلام حتى يقول لها أعظم الله لك الأجر بقمر بني هاشم فتلتوي التواء زهرة الإقحوان حين تمر بها عاصفة قاسية تكاد تقتلع كل ما يواجهها. تضع يدها على قلبها الذي طعنه هول الخبر وتصيح عاليا: اخبرني عن ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله. فيبدأ بنزول الخبر فيأخذ مأخذ الصاعقة فتسقط على الأرض مغشيا عليها متمنية الرحيل عن هذه الدنيا واللحاق بحبيب قلبها أبي عبد الله الحسين عليه السلام .

بكاء أم البنين ÷ يدوم طويلاً

وظلت أم البنين ÷ ملازمة دارها لا تنقطع أبدا عن البكاء على سيد الشهداء عليه السلام.

المرأة الجليلة تعرفت معرفة تامة على أبي عبد الله الحسين عليه السلام ولم تكن معرفتها معرفة سطحية هامشية بل معرفة حقيقية منَّ اللهُ عليها بها إذ أن معرفة الإمام عليه السلام ليس من السهل الإحاطة بها فربما عاش الكثيرون مع سيد الشهداء عليه السلام وربما زعم الكثير منهم معرفته ولكن لم يحرز أحد منهم كنه المعرفة التي عرفتها أم البنين ÷ والتي جاءت من معرفة سيدة نساء العالمين ÷ وإن الصديقة الطاهرة ÷ أولى من سواها بالوفاء وبرد الوفاء وبالإجابة السريعة لذا فإنها أول ما تقوم به كما تذكر الروايات هو رد الوفاء لأم البنين عليه السلام وإن لم تكن تحصل على أية منقبة أو مأثرة لكان هذا كافٍ لها.

كانت تأتي إلى البقيع وتصنع صورا أربعة لقبور وبين يديها يتيماً قمر بني هاشم العباس بن علي عليهما السلام وهما عبد الله والفضل وتندب بنيها أشجى ندبة وترثيهم[1]

لقد حق لأم البنين ÷ أن تجلس طويلا تنعى بدورها الذين لم تثكل أم في الدنيا مثلهم.

لقد ظلت تنعى أولادها الخمسة إذ أنها تعد الحسين عليه السلام منهم بل وأولهم وقد كثر بكاؤها عليه وزاد على أولادها.

وكانت تخرج إلى البقيع فتندب بنيها أشجى ندبة واحرقها فيجتمع الناس إليها

(١)- شجرة طوبى / الشيخ محمد مهدي الحائري

فيسمعون منها فكان مروان يجيء فيمن يجيء لذلك فما يزال يسمع ندبتها ويبكي[1].

يا من رأى العباس كر عـلى جمـاهـير النقد
ورواه من أبناء حيدر كـل لـيـث ذي لبد
أنبئت أن ابني أصيب بـرأسـه مـقـطـوع يد
ويـلي على شبلي أمال برأسه ضرب العمد؟
لو كان سيفك في يد يـك لمـا دنـا منه أحد

تلك المرأة الجليلة العفيفة الكريمة والتي كان اعتلاؤها قمة الأدب العربي مع العفة احدى صفاتها فإن أشعارها تعكس مدى لوعتها وحرقة قلبها ومدى تأثير عنف قسوة الفراق عليها إذ تقول:

لاتـدعـوني ويـك ام البنين تـذكـريـني بـلـيـوث العرين
كـانـت بـنـون لي ادعـى بهم واليوم اصبحت ولامن بنين
اربـعـة مـثـل نـسـور الـربـى قد واصلوا الموت بقطع الوتين
تـنـازع الخـرصـان اشـلاءَهـم فكلهم امسى صريعاً طعين
يـا ليت شعري اكـما اخـبروا بـأن عـبـاسـاً قـطـيـع اليمين

(١)- مقاتل الطالبيين / أبو الفرج الأصفهاني

وجاهة أم البنين ÷

إن اكتساب الجاه أو امتلاك الوجاهة والتمتع بها إنما يستند أحيانا على ركائز عديدة ومختلفة سواء كانت هذه الوجاهة دنيوية أو أخروية، فثمة من يتمتع بالجاه أو الوجاهة في الدنيا ﴿**وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ**﴾[1] ورب امرئ لا يجتمع في قلبه حب الله وحب الدنيا فيحظى بدرجة من الوجاهة بالآخرة ﴿**وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ**﴾[2] ومن كرم الله أن يهب عبدا من عبيده وجاهة الدنيا والآخرة و ﴿**ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾[3] لتؤهله هذه الوجاهة لأحقية التشفع في الدنيا والآخرة ﴿**مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ**﴾[4] وثمة مقامات ومراتب سامية راقية يرزق بها الله عبداً مؤمنا امتحن قلبه ﴿**وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ**﴾[5] فقربه صفاؤه ونقاؤه وشدة صدقه في العبودية والإلتزام من الله فأصبح ممن ﴿**رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ**﴾[6]

وفي الحديث القدسي «**ما وسعني أرضي ولا سمائي بل وسعني قلب عبدي المؤمن**»[7].

(١)- سورة البقرة/ ٢٠٠
(٢)- سورة الإنعام / ٣٢
(٣)- سورة التوبة / ٨٩
(٤)- سورة الشورى / ٢٠
(٥)- سورة الزخرف / ٣٢
(٦)- سورة التوبة / ١٠٠
(٧)- مواهب الرحمن / ج٥ ص٢٢٦

لا يتسع قلب المؤمن إلا بعد معرفة الله سبحانه وتعالى حق معرفته وبعد خلوه من وجود أي حب غير حب الله وذلك ما لا يوجد إلا لدى الأنبياء والأوصياء والأولياء وخواصهم وأتباعهم المخلصين وبلوغ معرفة الله دليل على معرفة أولياء الله سبحانه وتعالى وأحبائه الذين هم محمد وأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فحين يعرف أهل البيت عليهم السلام إذن عرف الله عز وجل ويقول الإمام الباقر عليه السلام « **إنما يعرف الله عزوجل ويعبده من عرف الله وعرف إمامه منا أهل البيت ومن لا يعرف الله عزوجل و لا يعرف الامام منا أهل البيت فإنما يعرف ويعبد غير الله هكذا والله ضلالا**»[1].

بما أن الإنسان هو عرضة دائما للهوى والبغي والضلال والرغائب.

إبليس والدنيا ونفسي والهوى كيف الخلاص وكلهم أعدائي

وهذه المطامع والشهوات تدفعه أحيانا للتجرد من العفة والإستقامة والعدالة والمساوات والإنحراف واتباع الهوى والنفس الأمارة بالسوء ونسيان الخالق جل وعلا ﴿**نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ**﴾[2] إذن معرفة الله تبدأ من معرفة النفس إذ يقول الإمام عليه السلام «**من عرف نفسه فقد عرف ربه**»[3] .

كلما ازداد الإنحراف في المرء عن الحق يزداد ابتعادا عن الصراط المستقيم باتباعه الجاحدين والجحود والماكرين والمكر. كلما انحدر إلى أسفل الدرجات بآثامه ومعاصيه ازداد تسافلا حتى يصل إلى الحضيض فيكون دون تسافل الشياطين والأبالسة اللعان ﴿**لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ**﴾[4] فينبذه عندها كل ما يمت بصلة لمكونات الحياة البشرية فيصبح مصيره درك الجحيم .

عكس ذلك تماما يحصل حين يكون المرء قلبه كالمرآة الصافية النقية التي يعكس صورة صافية لما يتمرى بها أو كزجاجة شفافة يخترقه نور الإيمان فينيره ليزداد بصيرة

(١)الكافي الكليني -ج١-ص١٨١
(٢)- سورة الحشر/ ١٩
(٣)غرر الحكم ودرر الكلم ج١/ ص١٤٩
(٤)- سورة النور / ٢١

ويكون بصره حديد ﴿**فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ**﴾[1] فيرى الحق حقا فيتبعه ويرى الباطل باطلا فيتجنبه ويترفع عن المعاصي وحتى الشبهات وعن كل ما يشين الإنسان القويم السوي المستقيم. فعند ذلك يبلغ مقاما رفيعا يضاهي به مرتبة الملائكة وهي قمة الرفعة التي تنال بالوصول إلى قمة الإيمان ﴿**فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً**﴾[2] .

وروي أن الله سبحانه وتعالى يقول في حديث قدسي «**من اعتصم بي دون خلقي ضمنت له السموات والأرض رزقه فإن دعاني أجبته وإن استعطاني أعطيته وإن استكفاني استكفيته**»[3].

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام : «**من عامل الله جل وعلا بالصدق في عباده أعطاه الله من نور الفراسة ما يبصر به كل شيء من عجائب الدنيا والآخرة فعليكما بالصدق**»[4].

هذا المقام وهذه المرتبة ينشأ الإرتباط الروحي الصميمي مع الله سبحانه وتعالى ﴿**إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً**﴾[5].

يقول الإمام الحسن عليه السلام «**من عبد الله عبَّد الله له كل شيء**»[6].

وهذا الإرتباط الروحي يزيل كل الحواجز ويقصر المسافات بل يلغيها ويجعل العبد المؤمن أكثر قربا من ربه تعالى ورسوله وأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم لذا سيكون الله عز وجل ورسوله وأهل بيته عليهم السلام معه دائما وأبدا. وعندما يكون بمقدوره صنع ما يصنعه أولياء الله. كما يحدث المحدثون عن محاورة أمير المؤمنين عليه السلام مع رميلة وهو من خواص شيعته وكان قد مرض وابلي ثم خف وجاء إلى الصلاة، قال عليه السلام «**وعكت يا**

(١) - سورة ق / ٢٢
(٢)- سورة النساء / ٦٩
(٣) - إرشاد القلوب / الديلمي
(٤) - المصدر نفسه
(٥) - سورة الكهف / ٨٤
(٦)بحار الانوار – العلامة المجلسي/ ج٦٨ ص١٨٤

رميلة ثم رأيت خفا فأتيت إلى الصلاة؟ فقال: نعم يا سيدي وما أدراك؟ فقال عليه السلام: **يا رميلة ما من مؤمن ولا مؤمنة يمرض إلا مرضنا لمرضه، ولا حزن إلا حزنا لحزنه، ولا دعاإلا آمنا لدعائه ولا سكت إلا دعونا له، ولا مؤمن ولا مؤمنة في المشارق والمغارب إلا ونحن معه.**» [1].

إذن إنه اصطحاب روحي وباطني وصميمي ومعنوي، وذلك ما هو إلا نتيجة العبادة بمعنى كامل ومعرفة تامة. ألم يكن جهاد أم البنين ÷ وتضحيتها في سبيل الله تعبيرا صادقا عن معرفة الله والإعتصام بحبله المتين وذلك تمثل بالإعتصام بدين الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وآله بحبها الحسين عليه السلام والتضحية من أجله مما يجعلها تكتسب الوجاهة عند الله جل وعلا وهذه الوجاهة حق لنا أن نتخذها منطلقا لنا لأن نتوسل بها إلى الله ونقدمها بين يدي حاجاتنا إلى الله عز وجل. لذلك قد جعلناها في كثير من الأمور وسيلتنا .

(١) - بحار الأنوار - ج٢٦-ص١٥٥

التوسل بأم البنين ÷

وقد يتفق الجميع على جواز التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام ومحبيهم المخلصين من الأولياء الصالحين .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**في الجنة درجة تدعى الوسيلة فإذا سألتم الله فسألوا لي الوسيلة.** فقالوا يا رسول الله من يسكن معك فيها؟ قال صلى الله عليه وآله: **علي وفاطمة والحسن والحسين**» عليهم السلام [1]

- **خصوصية التوسل :**

قد منَّ الله سبحانه وتعالى على الإنسان أن سخر له كل ما وجد في الكون ومكنه من استخدام الوسائل الطبيعية لسد كل احتياجاته ولابد من استخدام الوسيلة في استكمال مسيرة حياته وانجاز أعماله والقيام بممارساته الصحيحة وان استخدام الوسيلة يبدأ من صغريات الأمور إلى أكبرها وأشدها صعوبة. فكلنا عندما نعطش نشرب الماء وعندما نجوع نأكل الطعام وعندما نريد الاتصال نستخدم الهاتف[2] وغير ذلك كثير من الممارسات اليومية وهذا ما يحدث لدى جميع أبناء البشر .

وهناك متطلبات واحتياجات باطنية أو غيبية قد يود المرء تحقيقها لكن تحقيقها يتطلب استخدام وسيلة أكبر من الوسائل الطبيعية تلك الأمور التي تنحصر بين العبد وربه ولن تتحقق إلا بالدعاء إلى الله واستخدام الوسيلة، وثمة أسباب ووسائل غير

(١)ـ تفسير بن كثيرج٢ / ابن كثير

(٢) ـ العقيدة الإسلامية / الشيخ جعفر السبحاني

طبيعية وضعها الله جل وعلا واسطة لنزول فيضه على الملأ. وكما أن الله عز وجل جعل لكل شيء واسطة كذلك جعل لنزول فيضه واسطة، إذ لا ينزل فيضه عادة إلا عبر استخدام وسائط، فمثلما إن الإنسان إذا مرض يراجع الطبيب ويتناول العقاقير ليحصل على الشفاء[1] وقد قال موسى بن عمران عليه السلام: «**يا رب ممن الداء ؟قال: مني. قال: ممن الدواء؟ قال: مني. قال: فما يصنع الناس بالمعالج «يعني الطبيب»؟ قال جل وعلا: يطيب بذلك أنفسهم فسمي بالطبيب لذلك**»[2]. وقد قال تعالى ﴿**وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ**﴾[3].

ومن الوسائل التي أرادها الله تعالى مراكز لإستغاثة العباد هم محمد وآل محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. فهم حجج الله الكبرى وكلمات الله التامات العليا.

ويقول الإمام عليه السلام: «**فثبتني الله أبدا ما حييت على موالاتكم ومحبتكم ودينكم، ووفقني لطاعتكم ورزقني شفاعتكم وجعلني من خيار مواليكم التابعين لما دعوتم إليه** .. حتى يقول عليه السلام: **من أراد الله بدأ بكم ومن وحده قَبِل عنكم ومن قصده توجه بكم، مواليَّ لا أحصي ثناءكم ولا أبلغ من المدح كنهكم ومن الوصف قدركم وأنتم نور الأخيار، وهداة الأبرار، وحجج الجبار، بكم فتح الله، وبكم يختم، وبكم ينزل الغيث، وبكم يمسك السماء أن تقع إلا بإذنه، وبكم ينفس الهم، ويكشف الضر، وعندكم ما نزلت به رسله وهبطت به ملائكته**»[4].

وقد كان المسلمون إذا أصابهم الجدب وقل المطر خرجوا إلى الصحراء يتضرعون إلى الله ويصلون صلاة الإستسقاء. وكان عمر يستسقي بالعباس عم النبي صلى الله عليه وآله، يقول البخاري في صحيحه «أن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد

(١) ـ ومضات / السيد محمد رضا الشيرازي
(٢)بحار الانوار- العلامة المجلسي / ج٥٩ ص٦٢
(٣) ـ سورة الشعراء / ٨٠
(٤) ـ الزيارة الجامعة

المطلب فقال اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا . قال فيسقون [١] وروى البهيقي: عن عمر بن الخطاب، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد ﷺ إلا غفرت لي**»[٢].

ويروى عن أحمد بن زيني دحلان: أن الناس أصابهم قحط في خلافة عمر، فجاء بلال بن الحرث إلى قبر النبي ﷺ وقال: يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم هلكوا.

وقد كتب الرواة والكتاب الذين امتلأت المكاتب بكتبهم ومؤلفاتهم شواهد عن التوسل برسول الله ﷺ وجواز التوسل بالأئمة الأطهار عليهم السلام والملائكة الكرام والمؤمنين الصالحين من عباد الله. وإن كل المسلمين وحتى غير المسلمين يعتقد بالوسائط الغيبية. وإن التوسل عبر أولياء الله كالتوسل بالنبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام فإن الولي الصالح والمؤمن السوي القويم المتمسك بعبادة الله حق تمسكه ويعبد الله بروحية صادقة خالصة وبمعرفة تامة فيكون ممن يقول سبحانه وتعالى فيهم ﴿**لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾[٣] فينطبق على ذلك قول الله تعالى «**يا ابن آدم أنا أقول للشيء كن فيكون فأطعني كما أمرتك أجعلك تقول للشيء كن فيكون**»[٤] ترى ألم تكن أم البنين ÷ من هذا الصنف من العباد؟ فهي مجاهدة قد أطاعت الله عز وجل بما أمرت. وعندما تكون هكذا ألم تستحق أن يهبها الله سبحانه وتعالى وجاهة تمنحها حق التشفع ﴿**وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ**﴾[٥] وأن تكون وسيلة من الوسائل التي تقدم بين يدي حاجات الناس؟ .لابد أن يكون ذلك.

لذا قد راح الناس على مختلف طوائفهم ممن وهبهم الله سبحانه وتعالى البصيرة يتوسلون بالله بجاه أم البنين ÷ وقد أثبتت لدى الناس أحقية هذه الوجاهة هذا ما

(١) ـ صحيح البخاري –ص٨٨١– باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا .
(٢) ـ المعجم الوسيط للطبراني / ج٦ ص٣١٣–دار الحرمين للطباعة والنشر ١٩٩٥
(٣)ـ سورة التحريم / ٦
(٤) ـ مستدرك الوسائل / ج١٨
(٥) ـ سورة آل عمران / ٤٥

برهنه تحقيق المراد لدى الكثير من الناس، وهنالك الكثير من الشواهد مما لا يعد ولا يحصى .

وبما أن الناس جميعا عندما يتوسلون بالله بأم البنين ÷ وتقضى حاجاتهم فيعقدون على أنفسهم عهدا أو ميثاقا بأن يقدموا مقابل تحقيق المراد قربانا أو نذرا هدية لوجه الله ليكون ثوابه لروحها الطاهرة وذلك لشفاعتها عند الله. ويبدو أن لأم البنين ÷ مكانة خاصة ومنزلة رفيع عند الله لأنها أطاعت وصي رسول الله ÷ وخدمت عترته خدمة مطيع مستجيب لأمر الله جل جلاله وقدمت لهم المودة بمعناها الحقيقي ﴿**ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ**﴾[1] ونصرت دينه بتقديم فلذات كبدها عندما دفعتهم لنصرة سيد الشهداءعليه السلام الذي ضحى بكل ما يملك لنصرة دين الله سبحانه وتعالى. لذا قد اشتهرت قضية النذر لأم البنين بين عامة الناس على نطاق واسع.

- **النذر:**

النذر: هو القربان الذي يوجب الإنسان على نفسه تقديمه وتأديته ويبدو أن فكرة النذر خلقت مع خلق بني آدم إذ يقول عز من قائل﴿**إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا**﴾[2] وتقبل القربان يعني تحقيق المراد. وقد ورد ذكر النذر في القرآن الكريم في مواطن عديدة كعملية ووسيلة من ناحية وكيفية من ناحية أخرى. ومثلما أن تقديم القربان يتم أحيانا بصيغة رمزية أو عبارة عن عمل عبادي معين يؤديه الناذر بعد تحقيق مراده كالصوم والصلاة ويصل إلى حد قراءة سورة الفاتحة أو تسبيحة يهدى ثوابها لروح الولي الصالح فلان فضلا عن الممارسات الأخرى. ﴿**إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيّاً**﴾[3]

(١) - سورة الشورى / ٢٣
(٢) - سورة المائدة / ٢٧
(٣)- سورة مريم / ٢٦

كذلك تعددت أوجه وأصناف النذور في كيفياتها ومسمياتها وتخصيصاتها من قبل الناذر كنذر حتى حملت هذه الأصناف أسماء وعناوين تسمت بها مع مرور الزمن.

وللوفاء بالنذر أهمية كبيرة وإن كانت لأ بدية الإيفاء مرهونة بالقدرة والإستطاعة وقد تحتم على الناذر إيفاء لعهده ومصداقية لميثاقه أن يوفي بدينه في تقديم ما قرر أن يقدمه من قربان عند تحقيق ما يود تحقيقه ﴿**يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً**﴾(١) لذلك ظل البعض يعتقد اعتقادا راسخا جازما بأن عدم الإيفاء بالنذر يكون ذنبا تترتب عليه عواقب وخيمة وسيعاقب عليه عقابا شديدا جزاء عصيانه بعدم إيفائه للنذر، وإذا أصابه أي مكروه بعد ذلك فإنه من جراء نكوله وعدم التزامه بعهده وبميثاقه وينطبق عليه قول الشاعر :

صلى وصام لأمر كان يطلبه لما قضى الأمر لا صلى ولا صاما

لذلك شدد وركز الناس بالإلتزام التزاما تاما بأداء النذر خصوصا بعد تحقيق المراد.

وثمة ممارسة من ممارسات النذور تسميه العامة «نذر مجرب» أي أن الوسيلة التي يتخذها المرء للإستغاثة بواسطتها وتقديمها بين يدي الحاجات وللشفاعة عند الله إنها وسيلة أو واسطة مجربة في قضاء الحاجات لسرعة الإستجابة وتحقيق المراد. لذلك كثر اللجوء إلى هذه الواسطة ومن أبرز ما اشتهر من هذه الوسائل والوسائط في تحقيق المراد بواسطتها أم البنين ÷ .

وراح الناس يتوسلون لله بها فسرعان ما يتحقق المراد وهناك من الحوادث والروايات والقصص الواقعية التي لا تعد ولا تحصى مما يثبت مصداقية ذلك. فأقول لكل من يعتصره العسر والنوائب:

(١)- سورة ألإنسان / ٧

لك الدنيا إذا نصبت شراكا وفخ النائبات قد اجتباكا
وأطلقت الرزايا ألف سهم بعمقِ الروحِ قد لقت اشتباكا
ولم تلمح بصيصاً في انفراج وسعدُ العيش في قسرٍ جفاكا
وضاق الرحبُ مهما ازدادوسعا كسُم خياط قد أمسى فضاكا
فلا تلبس رداء اليأس واشدد حيازيماً لتطلب مبتغاكا
توسل خاشعاً بالله واطلب بيسر أيما عسرِ اعتراكا
وإن شئتَ الوسيلة أو وجيها ليثرب ولي وجها في دعاكا
وخذ «أم البنين» له وجيها بها والله تبلغ مرتجاكا
فما أم البنين سوى سبيلٍ سيجلي نورها حقا دجاكا
فما من لاجئٍ يأوي إليها وإلا أبعدت عنه ارتباكا
وقدِّم قربةً لله نذرا لها إن شئت إذ أمست وقاكا

فعندما يضيق المرء ذرعا في أمر من الأمور يتجه إلى الله سبحانه وتعالى بالتوسل بأم البنين ÷ أعتقد بأن هنالك الآلاف من القصص لدى أغلب الناس ممن حدثت معه أو مع أحد من أقاربه أو أصدقائه أو حتى قد سمع بها من أحد وأنني أحفظ من هذه القصص مما لو وددت أن أدونه لأحتجت إلى وقت طويل وأوراق ومداد لا أملك ثمنها. ولكن أحاول أن أذكر بعض الحالات من تلك التي واجهتها أو أنها رويت لي شخصيا.

قصص لنذور مجربة

قصة رقم «١» :

كان أحد المؤمنين قد اعتقل في أحد المعتقلات التابعة لمديرية الأمن العامة أيام النظام المدحور ووضع في زنزانة منفردة وقد سمع صراخ المعتقلين في الزنزانات المجاورة الواحدة تلو الأخرى فتبين أن هنالك أحد الجلاوزة من العناصر المكلفة بالتعذيب يمارس أبشع أنواع التعذيب مع المعتقلين المساكين وإنه يدور على كل الزنزانات الإنفرادية بالتسلسل الواحدة تلو الأخرى فأدرك بأنه سيصله الدور لا محالة وسيلاقي من يد هذا الجلاد نصيبا وافرا.

يقول: بينما أنا أنتظر دوري بقلق بالغ وبتعذيب نفسي قبل التعذيب الجسدي ففي لحظة من اللحظات طرأت في رأسي فكرة وتذكرت أم البنين ÷ . فتوجهت إلى القبلة بوجهي وقلبي وضميري وكل حواسي وتوسلت بالله بحق أم البنين ÷ أن يخلصني من هذا المجرم ويكفيني شره وهديتي لها لوجه الله ركعتان مع تسبيحة مائة مرة ثوابها لأم البنين ÷ .

وبينما أنني أقف بين أمرين بين أنني واثق من استجابة دعائي وتحقيق مرادي طالما اقترن توسلي بأم البنين ÷ وبين قلقي من أن هذا اللعين كيف يمكن أن يتجاوزني وهو مستمر بالدخول إلى كل زنزانة بالتسلسل.

يقول: فجأة شعرت بإحساس غريب أدخل الإطمئنان إلى قلبي ثم ساد السكون لدقائق حتى شق هذا الصمت صراخ عالٍ من الزنزانة المجاورة التي هي بالجانب

الآخر لزنزانتي، فعندها علمت بأن هذا اللعين الجلاد لم يدخل الزنزانة بل تجاوزها ودخل الزنزانة الأخرى وعندها ضاعفت نذري وجعلت الركعتين عشر ركعات وألف تسبيحة وأديتها وأنا اشكر الله على تحقيق المراد

- **قصة رقم «٢»:**

تعرفت على شخص مسيحي في بغداد وطالت صحبتنا، وكنت أتحدث كثيرا عن كرامات أهل البيت عليهم السلام وكيف أنهم باب من أبواب الرحمة الإلهية ويمكن أن يتوجه بهم المرء إلى الله ويطلب ما يريد بصفاء ونية خالصة وقلب تقي وما كان يدفعني للإكثار من التحدث معه كنت أجد فيه رغبة للإستمتاع وميول للحق بشوق حار، وكانت فيه رغبة أن يتعرف على منزلة أهل البيت عليهم السلام ولا أنسى انه كان يقول: أنتم الشيعة منصفون معنا وتعرفون الحقيقة أكثر من سواكم وواقعيين ومنطقيين في تعاملكم ونحن أقرب إليكم من سواكم .

وكنت اذكر له قصص النذور التي تقدم إلى الأئمة الأطهار عليهم السلام خصوصا لأبي الفضل العباس عليه السلام ولأم البنين ÷ وذلك بسبب استجابة الدعاء وقضاء الحاجات.

وافترقنا ولم أتصل به لفترة طويلة، وذات يوم وإذا بي التقي به في بغداد فما أن رآني حتى هرع مناديا «وينك إجيت بوقتك» واحتضنني بحرارة وشوق. فما لمسته إن استقباله لي لم يكن بشكل طبيعي كما وجدت عليه آثار التعب والحزن والأسى واضحة كل الوضوح بل قد غيرت معالم وجهه. فسألته: ما الخبر؟ فراح يصب سيل شكواه وكيف أنه يصارع عاصفة من الهموم والمصائب التي ألمت به، إذ أن زوجته أصيبت بمرض معين حيث ظهر في ثديها ما يشبه الغدة فعند مراجعتها الطبيب وبعد فحوصات ومراجعات أخبروه بأنه مرض خبيث. فسألته هل راجعت أخصائيين؟ فقال: لم أدع بابا لم اطرقه وضجرت وضجر مني الأطباء والقرار الذي اتخذه الطبيب هو استئصال الثدي ولم يبق لدي أية وسيلة ولكن الآن في هذه اللحظة التي شاهدتك فيها وبينما أن أعبر الرصيف لأصل إليك دارت في خلدي فكرة .. سألته: وما هي؟ قال: سأتوجه

إلى الله تعالى بالتوسل بأم البنين ÷ أن ينقذني من هذه المحنة ويزيح عني كابوس هذه المصيبة وعهدا عليَّ أنني سآتي إلى كربلاء واذبح كبشا لدى ابنها أبي الفضل العباس عليه السلام قربانا لأم البنين ÷ فأرجو أن تدعو لي وتشهد علي بذلك.

فقلت له: سوف أذهب الآن إلى كربلاء وادخل حرم أبي الفضل العباس عليه السلام في زيارة مخصوصة وأدعو الله وأتوسل بجاه أم البنين ÷ عنده أن ينعم بالشفاء على زوجتك. وبعد أن دوَّن في دفتره رقم الهاتف افترقنا. وبعد ما يقارب السبعة أيام اتصل بي وطلب مني أن أنتظره في منطقة باب بغداد لأستقبله هناك إذ أن سيتوجه إلى مدينة كربلاء المقدسة. وفعلا خرجت لأنتظره فقدم هو وعائلته و أول ما سألني أين تباع الأغنام ؟فقلت له: وما تريد؟ قال: أريد أن اشتري خروفا فأذبحه لوجه الله نذرا لأم البنين ÷ وسرد لي القصة وقال:

بعد أن افترقنا في بغداد وذكرت أم البنين ÷ ذهبت على الفور إلى البيت وأخبرت الأهل بما دار بيني وبينك من حديث حول ذكر أم البنين ÷ وعرفتهم بمنزلتها وكراماتها فوجدت الجميع قد تغيرت قسمات وجوههم ووجدتهم كأنهم هم العارفون أكثر مما أنا عارف عن ذلك وهدّأتُ من روع زوجتي واستقرت أعصابها المتوترة والعائلة جميعا والجميع أحس بارتياح وبشيء من الإطمئنان، أما أنا كأنني حصلت على نتيجة تختلف تماما عما نعرفه وعما قرر الأطباء وبما أننا لن نتوقف عن طرق الأبواب والإستفسار من هذا وذاك لعلنا نجد ما يخرجنا من هذا المأزق وإذا بأحد الأصدقاء يرشدنا إلى أحد الأطباء قائلا: لم لا تذهب إلى الطبيب الفلاني. وبرغم أنني ذهبت إلى أشهر وأفضل من ذلك الطبيب ورغم أني يائس من الذهاب إلى الطبيب والحصول على نتيجة مغايرة لكني أحسست بأن أحدا يهمس بأذني ويحثني على الذهاب إلى الطبيب وشعرت بأنني سأجد ضالتي عنده. وفعلا توجهنا له وقدمنا له ما نحتفظ به من تقارير طبية وفحوصات مختبرية فقال لي: لا حاجة لي بهذه الأوراق كلها وبدأ الكشف والفحوصات فقلت له:

هل سوف تستأصل ثدي المرأة؟ فرد عليَّ بكل برود بل الإثنين ! فصرخت في وجهه وإذا به يغر ق في الضحك ويقهقه ثم صمت والتفت إليِّ متسائلا: من قال لك ذلك؟ قلت له: كل الأطباء الذين راجعتهم. فقال: أنا أقول لك غير ذلك. خذها وخذ هذا الدواء لتستخدمه وتعود بعد غدٍ. وخرجنا من عنده ونحن بين مصدق ومكذب لهذا الخبر السار .

لكنني كنت أندب وأردد «يا أم البنين» واشعر أن قلبي يزداد اطمئنانا. وعدنا في اليوم الثالث وإذا به يحضر محقنة طبية «صرنجة» ويغرسها في مكان الورم يستخرج منها مادة غريبة حتى انتهى وقال: لتذهب وتعود غدا وفي اليوم التالي كرر العملية نفسها وقال: خذ زوجتك وأخرج .

فعدنا إلى البيت مسرورين. وفي الصباح توجهنا إلى كربلاء المقدسة.

ثم اشترى الخروف وذبحه ووزع لحمه لزوار أبي الفضل العباس عليه السلام وقال: لولا أعلم أن إسلامي في الوقت الحاضر يسبب لي حرجا ولعائلتي وربما أكون في مأزق لأسلمت الآن أمام حرم أبي الفضل عليه السلام وإنني أشارك في بعض الطقوس التي تمارسونها ومن اليوم سوف أشارك بكل الشعائر التي تقومون أنتم بإحيائها وأفعل كل ما تفعلونه وأقدم ما تقدمونه لأئمتكم.

هاتان الواقعتان قد يوجد لهما مثيلا في مئات الحوادث والكل يعرف ذلك ولكني ذكر تهما لإطلاعي التام ومعاصرتي وشهادتي لهما وإن الكرامة التي تتمتع بها أم البنين ÷ لا تحتاج لشاهد وشهيد فالأدلة تملأ ذاكرات الناس مثلما تملأ قلوبهم ونحن لا نعرف عنها إلا النزر اليسير ولكن الصديقة الطاهرة الزهراء ÷ تعرفها أكثر بكثير مما نتحدث عنه نحن والدليل خروجها يوم الحشر مطالبة بالقصاص من قاطعي كفي أبي الفضل العباس عليه السلام .

الخاتمة

لقد مال الإنسان منذ نشأته إلى وسائل للإستشفاء ولجأ إلى استخدام مختلف العلاجات وبتعامل عفوي أحيانا ولم تكن العلاجات العقائدية والروحية بمنأى عنه بل احتلت حيزا واسعا في ميدان معالجاته فليس غريبا على المرء الذي تتنامى في ذاته العقيدة الصحيحة الحقة أن يلجأ إلى الاستشفاء بالسور والآيات القرآنية والأوراد وأذكار والأدعية التي أوردها الأئمة الأطهار عليهم السلام في سننهم والإستشفاء باللجوء إليهم والتوسل عندهم لأنهم أبواب الله عز وجل ولا ريب ساعة تحقيق مراده ومن الطبيعي وهو السائد تقديم القرابين جزاءً ووفاءً لتحقيق المراد إذ أن الإنسان إعتاد على تقديم الأضاحي والقرابين منذ القدم مثلما إعتاد على التعلق والتمسك بالأولياء الصالحين وهذه الممارسات لم تقتصر على طائفة أو فئة أو ملة معينة .

السلام على ابنة الطيبين * السلام على قرينة أمير المؤمنين عليه السلام * السلام على أم الفادين بأنفسهم ريحانة رسول رب العالمين صلى الله عليه وآله * السلام على أم المضحين من أجل الحسين عليه السلام * السلام عليك يوم ولدت * ويوم رحلت مطمئنة ذاهبة إلى الجنة مع الخالدين * مع سيدة نساء العالمين ÷ * السلام عليك يوم تبعثين * فتسبقك الصديقة الطاهرة ÷ لرد الوفاء بحملها الكفين القطيعين لقمر بني هاشم عليه السلام مطالبة القصاص من الناكثين المارقين * والسلام على الأرض التي فيها دفنت * والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

الفهرس

ت	الموضوع	الصفحة
١-	الإهداء	٣
٢-	افتتاح	٥
٣-	سليلة الأصالة	١١
٤-	خطبتها	١٥
٥-	اقترانها بأمير المؤمنين عليه السلام	٢١
٦-	أولادها	٢٣
٧-	وفاؤها	٢٩
٨-	ألق التضحية	٣١
٩-	بكاء أم البنين ÷ يدوم طويلاً	٣٥
١٠-	وجاهة أم البنين ÷	٣٧
١١-	التوسل بأم البنين ÷	٤١
	خصوصية التوسل	٤١
	النذر	٤٤
١٢-	قصص لنذور مجربة	٤٧
	قصة رقم «١»	٤٧
	قصة رقم «٢»	٤٨
١٣-	الخاتمة	٥١
١٤-	الفهرس	٥٣